مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies
تعليقات

تداعيات أزمة كورونا على التعليم في السعودية: هموم الطلاب

مارك سي. طومسون
باحثٌ رئيس متعاون، رئيس وحدة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية
بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ضمن إجراءات المؤسسات التعليمية في جميع أنحاء العالم للتكيّف مع تداعيات وباء فيروس كورونا، اتُّخِذَت أولى الخطوات العاجلة بالانتقال من التعلُّم الشخصي المباشر إلى التعلُّم عن بعد، على الرغم من أن هذه العملية لا تزال غيرَ مكتملة بعدُ. وقد لاحظ المستشارون التربويون في «ماكينزي»، كريستين هيتز وزملاؤها، أن «معظم أعضاء هيئة التدريس قد تمكنوا من التعامل مع الإجراءات الجديدة، بينما لا يزال الآخرون يحاولون إيجادَ طريقة لمعرفة كيفية تدريس الدورات المُصمَّمة بالأساس للفصول الدراسية المادية من خلال منصاتٍ عبر الإنترنت ربما لم يصلوا إلى إتقان استخدامها بعدُ»[١]. ومع ذلك، وبِغَضِّ النظر عن مدى فعالية الحلول المقدمة عبر الإنترنت، فقد وجد العديدُ من المدرسين والطُلّاب هذه العمليةَ مرهقةً لأسباب مفهومة[٢]. وفي الحقيقة، فيما يتعلق بالطلاب السعوديين في مرحلة التعليم العالي، ولا سيما الطلاب حديثي التخرج، وأولئك الذين هم على أعتاب الدخول إلى سوق العمل، فقد أدَّى الوباء إلى تعطيل العملية التعليمية العادية، وفي بعض الأحيان أوقف الخطط المستقبلية، ومن بينها الدراسات العليا. وبعبارة أخرى، أضحى الوباءُ مسؤولاً عن «مستقبل غير معروف، وخطط غير واضحة». يُضاف إلى ذلك أن هناك قلقاً واسعَ النطاق بين الشباب السعودي من التأثير الفعلي للأزمة غير المسبوقة على المعايير التعليمية.

(1) C. Heitz et al, "Getting the next phase of remote learning right in higher education", *McKinsey & Company*, 23 April 2020: www.mckinsey.com/industries/public-sector/our-insights/getting-the-next-phase-of-remote-learning-right-in-highereducation?cid=other-soc-twi-mps-mps-oth-2005#

(2) C. Hodge et al, "The Difference Between Emergency Remote Teaching and Online Learning", *EDUCAUSE Review*, 27 March 2020: https://er.educause.edu/articles/2020/3/the-difference-between-emergency-remote-teaching-and-online-learning

يعتمد هذا التعليق على إجابات ٣٢٥ شابّاً سعوديّاً على استبيان مكتوب سُئلوا فيه: «في رأيك، كيف سيؤثر فيروس كورونا على مستقبلك الشخصي؟»[٣]. وهو يناقش، على وجه التحديد، تصورات تأثير الوباء على تعليمهم. وفي وقت البحث والكتابة، لم يكن، بالتأكيد، من الممكن استخلاص استنتاجات نهائية حولَ هذه القضية بسبب انتشار الوباء. ومع ذلك، يُمكن أن يُوَفِّرَ هذا التعليق «لمحةً» حولَ وجهات النظر والمخاوف الحالية.

التحوُّل إلى التعلُّم عن بعد:

للحد من انتشار فيروس كورونا، تحولت المؤسسات التعليمية السعودية إلى التعلُّم عن بعد في بداية مارس ٢٠٢٠. وكان هذا لضمان استمرار التعليم من خلال أساليب التعلُّم الرقمية بعدَ إغلاق المدارس ومؤسسات التعليم العالي. إضافةً إلى ذلك، وضعت وزارةُ التعليم نظامَ درجات مُنَقَّح لجميع الجامعات العامة والخاصة. فبالنسبة للطلاب الذين أنهَوْا دوراتهم الدراسية المخصصة في نصف السنة الدراسية لربيع عام ٢٠٢٠، طُلب من مرافق التعليم العالي تقييم الطلاب بناءً على متوسط درجاتهم الحالية أو على درجة العام السابق. ثم حصل الطلاب على تقييمات النجاح أو الرسوب بناءً على هذه النتائج.

ووفقاً لأديب الصبي، أستاذ تكنولوجيا التعليم بجامعة الملك سعود: «تحتاج عملية التعلُّم إلى إنترنت قوي، وأجهزة حديثة؛ مثل الهواتف المحمولة، وأجهزة الآي باد؛ لأن التعلُّم عن بعد يتطلب منصات تعليمية فعّالة؛ للتعامل مع ملفات الفيديو، والملفات الصوتية، والمحادثات، والمشاركات، والواجبات المنزلية»[٤]. ونظراً لأن نسبة انتشار الإنترنت في المملكة العربية السعودية تبلغ ٩٠٪ تقريباً، ولأن معظم الشباب السعودي يمتلك هواتف ذكية أو ما شابه ذلك، فقد كان هناك إمكانية لتحقيق ذلك إلى حدٍّ كبير[٥]. ومع ذلك، وكما أشار المتخصصون السعوديون في تكنولوجيا التعليم عبد الرحمن الليلي وزملاؤه في جامعة الملك فيصل، وأصابوا في ذلك، فإن استبدالَ التعليم عن بُعد بالتعليم الشخصي المباشر استجابةً للوباء، يختلف اختلافاً كبيراً عن التعلم عبر الإنترنت فيما قبل فيروس كورونا. فهذا الشكل الجديد من التعلم عن بعد يختلف عن التعليم التقليدي عن بعد: «لكونه يُطَبَّق بشكل مفاجئ وصعب وإجباري، ولأنه يغزو التعليم، ويشكل ظاهرةً نُوقِشت عالميّاً». ويُطلق الليلي وآخرون على ما حدث في التعليم في جميع أنحاء العالم: التعلم عن بعد في الأزمات[٦]. وفي الواقع، كان الاختلاف الرئيس بين التعلم عن بعد في فترة ما قبل الجائحة والتعلم عن بعد في أثنائها هو التطبيق المفاجئ لهذا الأخير بدافع «الاحتياج غير المتوقع، دون لوائح ولا إعداد مسبق». في جميع أنحاء العالم، قُدِّم التعلم عن بعد في أثناء الأزمات على عجل من أجل «إنقاذ الفصل الدراسي»، وتسهيل استمرار التعليم في أوقات الاضطراب[٧]. ونتيجةً لذلك، كان التعليم في بعض المؤسسات مجردَ مسألة تسجيل المحاضرات وتقديم المهام عبر أنظمةٍ عبر الإنترنت؛ أي إنه حدث «تحوُّل مؤقت في توصيل المعلومات إلى طريقة توصيل بديلة بسبب ظروف الأزمة»[٨].

في الماضي، فيما يتعلق بمن هم في التعليم العالي، اضْطُرُّوا ـ أحياناً لعدم وجود خيارات دورات متاحة، جنباً إلى جنب مع الضغط الدراسي ـ إلى الدراسة الذاتية، عادةً عن طريق الدورات على الإنترنت على منصات مثل كورسيرا، ومسك،

---

(٣) استطلاع للكاتب في ٢٠ مايو: في رأيك كيف سيؤثر فيروس كورونا على مستقبلك الشخصي؟

(4) T. Al-Thaqafi, "Saudi education sector switches to virtual classrooms", *Arab News*, 10 March 2020: www.arabnews.com/node/1639166/saudi-arabia

(5) GMI Blog, "Saudi Arabia Social Media Statistics 2019": www.globalmediainsight.com/blog/saudi-arabia-social-media-statistics/

(6) A.E. Al Lily et al, "Distance Education as a Response to Pandemics: Coronavirus and Arab Culture", *Technology in Society*, 29 July 2020, 101317, pp. 1-2: www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0160791X20303006?via%3Dihub

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق؛ C. Hodges et al, "The difference between emergency remote teaching and online learning".

ويوداسيتي، وأكاديمية خان[٩]. (وفي الواقع، كانت منصات مثل كورسيرا متاحةً عالميّاً مجاناً لأي جامعة تأثرت بوباء فيروس كورونا)[١٠]. وبناءً على ذلك، لم يكن أمامَ العديد من الطلّاب خيارٌ سوى مواصلة أو إكمال مساراتهم التعليمية عن طريق التعلُّم عن بعد. ومع ذلك، وفقاً لأحد المشاركين في الاستطلاع، يتمثل التحدي في تعلم دمج المعرفة المكتسبة من التعلم عن بعد مع الدراسات الشخصية التقليدية للحصول على تقدير تراكمي مرتفع، وفي النهاية درجات جيدة[١١].

وبشكل ملحوظ، يَعتبر العديدُ من الشباب السعودي أن الحصول على تقدير تراكمي مرتفع هو أهم عنصر في تعليمهم، ونتيجةً لذلك يمكن أن ينهمكَ الطلاب السعوديون في التركيز على التقدير والدرجات بدلاً من فوائد التفكير النقدي والتعلم طويل الأمد. وبالنسبة لهؤلاء الطلاب، فإن هناك قلقاً حقيقيّاً من احتمالية تأثر تقديرهم التراكمي بالتحول من التعلُّم في الفصل إلى الدورات الافتراضية[١٢]. يُضاف إلى ذلك أن الوباء تسبب في إلغاء العديد من الفصول الدراسية الصيفية الجامعية أو الانتقال لدراستها عبر الإنترنت، وهي فصول اختيارية لكنها شائعة. وقد يُؤَثِّرُ هذا على التقدير التراكمي، بالإضافة إلى تأخير تخرُّج العديد من طلاب المرحلة الجامعية؛ ما سيؤدي إلى اضطرار بعض الطلاب إلى تكثيف الدراسة بنظام الساعات المعتمدة في الفصول الدراسية التالية[١٣].

تصورات التعلُّم عن بُعد وقت الأزمة:

لقد كشف البحثُ الذي أُجري لهذا المقال أن العديد من الطلاب السعوديين قَلِقون من تأثر تعليمهم بالتحول المفاجئ إلى التعلم عن بعد[١٤]. ومع ذلك، من وجهة نظر هؤلاء المواطنين الشباب، ما أوجهُ القصور والعناصر المهمة المفقودة أو المخففة في نظام التعلُّم الحالي؟

على الرغم من وجود آراء مختلفة؛ فقد قال بعضُ الطلّاب إنهم لم يتأثروا إلى حدٍّ كبير بالتحول إلى التعلُّم عن بعد، فإن معظم الإجابات على الاستطلاع عبَّرَت عن مخاوفَ أو قلق. ويعكسُ هذا البحثَ الذي أجرته «سنابشات» في المملكة المتحدة، والذي يُوَثِّقُ كيف أن جزءاً من هذا القلق ينتج عن الاضطرابات الكاملة الموجودة في الطريقة التي يتوقع الطلاب أن يتعلموا بها[١٥]. بينما أقر المشاركون في الاستطلاع بأنه من السهل الدراسةُ عن بُعد، أكد الكثيرون أيضاً أن جودة التعليم، وكمية المعرفة التي يكتسبها الطلاب السعوديون عبر الإنترنت، أقلُّ بشكل ملحوظ. حتى أن قلة منهم أكَّدوا على أن التعلم عن بعد في وقت الأزمة أثبت فشله «على جميع المستويات»[١٦]. وفيما يلي مجالات اهتمامهم الثلاثة الرئيسة:

---

(٩) انظر: www.coursera.org/; https://misk.org.sa/en/; https://www.udacity.com/; www.khanacademy.org/

(10) A. Draycott, "Coronavirus drives remote learning's acceptance in the Middle East and beyond", *Arab News*, 22 March 2020: www.arabnews.com/node/1645091/middle-east

(١١) استطلاع الكاتب، مايو ٢٠٢٠.

(١٢) في الحقيقة، يشكو المعلمون كثيراً من تركيز الطلاب على مستوى تقديرهم التراكمي على حساب كل شيء آخر. وليس من المستغرب أن يؤدي هذا التركيز على التقدير التراكمي إلى إصابة العديد من الطلاب بشعور الاستحقاق ـ متلازمة «أنا أستحق تقدير ممتاز» ـ، بغض النظر عن القدرة الأكاديمية أو الأداء. انظر:
M.C. Thompson, *Being Young Male and Saudi: Identity and Politics in a Globalized Kingdom*, pp. 164-66.

(١٣) استطلاع الكاتب، مايو ٢٠٢٠.

(١٤) المصدر السابق؛
M. Tanveer et al, "Covid-19 Pandemic, Outbreak Educational Sector and Students Online Learning in Saudi Arabia", *Journal of Entrepreneurship Education*, Vol: 23 Issue: 3, 2020: www.abacademies.org/articles/covid19-pandemic-outbreak-educational-sector-andstudents- online-learning-in-saudi-arabia-9248.html

(15) C. Valoti, "Young people say their digital education has to improve. After lockdown, that really matters", *The Independent*, 29 July 2020: www.independent.co.uk/independentpremium/voices/coronavirus-education-online-young-people-digital-literacy-tech-jobs-employment- a9644206.html

(١٦) استطلاع الكاتب، مايو ٢٠٢٠.

- على المستوى الفردي، غالباً ما يشتكي الطلّاب من قلة التركيز أو الانضباط الذاتي، مشيرين إلى أن المنزلَ مكان غير مناسب للدراسة. يقترن هذا النقصُ في التركيز في بعض الأحيان بفقدان الرغبة في التعلم، والذي يتفاقم بسبب غياب التفاعل مع الزملاء وأعضاء هيئة التدريس، الذي يحفز الطلّاب على الدراسة والسعي. وفي الواقع، يشير الطلاب إلى أن لغة الجسد وتعبيرات الوجه والاتصال البصري، التي تكون أحياناً أكثرَ أهميةً من الكلام في أثناء المناقشات الصَّفّية، غالباً ما تضيع في التعلم عن بعد.
- هناك نقصٌ في توحيد المعلمين لطريقة تقديم الدورات والفصول الدراسية. على سبيل المثال، ليس جميع المعلمين يستخدمون أحدث التقنيات أو برامج الرسوم المتحركة في عملية الشرح. يُضاف إلى ذلك تأكيد الطلّاب على ضرورة إلزام جميع المعلمين باستخدام كاميرا الفيديو في أثناء الدروس عبر الإنترنت. وقد أدى غيابُ الممارسات والإجراءات الموحدة، حتى داخل بعض المؤسسات، إلى زيادة الضغط على الطلّاب بسبب «ضعف إيصال المعلومات».
- يشعر الطلّاب بالقلق أيضاً من أن أساليب التقييم عبرَ الإنترنت قد يكون لها تأثيرٌ ضارٌّ على درجاتهم. وهناك شكاوى متكررة من أن الاختبارات عبر الإنترنت «طويلة جدّاً والوقت قصير جدّاً»، وهذا هو السبب الرئيس في أن التعلُّم عن بعد يُعتبر صعباً، ومن ثم فقد أصبح غيرَ مرغوب فيه بين الكثيرين.

علاوةً على ذلك، هناك اعتراف واسع النطاق بأن «قيمة التعليم العالي لا تأتي فقط من خلال الدورات الدراسية الأكاديمية، ولكن أيضاً من حيوية الحياة في الحرم الجامعي، من المحادثات في وقت متأخر من الليل، إلى التفاعلات في قاعة الطعام، إلى لحظات المشاركة العَفَوية»[١٧]. وقد أدى ذلك إلى تفكير بعض الطلاب في تغيير (التخصص) الرئيس، لبرامجَ مثل درجات الأعمال الأكثر ملاءمةً للفصل الدراسي الافتراضي. ومع ذلك، يبدو أن المحصلة النهائية هي أن الطلاب يدركون أنهم خسروا الخبرات التعليمية العادية والمفيدة بسبب الوباء[١٨].

الفُرَص الضائعة:

من الآثار الفورية الأخرى لوباء فيروس كورونا إلغاءُ العديد من الخطط الموضوعة بعناية؛ مما أدى إلى ضياع الكثير من الفرص. على سبيل المثال، أُجِّلَ العديد من المِنَح الدراسية أو سُحِبَت؛ مما أدى إلى تبَدُّد أحلام الحصول على درجات الدراسات العليا في الخارج. على سبيل المثال، يقول شابٌّ في الرياض إن منحة شركته قد أُلغيت على الرغم من قبوله في جامعتَيْ كورنيل وكولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية. ويشعر مرشح دكتوراه سعودي في جامعة ولاية أيوا أن فيروس كورونا «يُكَلِّفُ كلَّ واحد منا عاماً من حياته ضاع بسبب خطط الدراسة المُلغاة». ومع ذلك، حتى إذا بَقِيَت المِنَح الدراسية كما هي في الوقت الحالي، فهناك دائماً احتمالٌ بأن تتأثرَ هذه المِنَح بتخفيضات ميزانية برامج المنح الدراسية[١٩].

يُطلَبُ من العديد من الطلاب السعوديين، لإستكمال متطلبات التخرج والحصول على شهاداتهم الجامعية، إكمال تدريب داخلي، غالباً ما يُعرف باسم التدريب التعاوني أو التدريب الصيفي. ومرةً أخرى، أدَّت تداعياتُ الوباء إلى تقليص العديد من تدريبات العمل المهمة هذه، ووجد الشبابُ السعودي أن دوراتهم التدريبية قد أُلغيت أو أُجِّلت حتى عام ٢٠٢١. يقول أحدُ الشباب إن برنامج التدريب التعاوني الخاص به قد أُجِّل لمدة عام؛ مما «يؤخر تخرجي وحصولي على شهادتي النهائية مدةَ ثلاثة أشهر على الأقل»[٢٠]. وهناك أيضاً شكاوى من «فرص رائعة ضائعة بسبب هذا الفيروس»؛ مثل الدورات

(17) C. Heitz et al, "Getting the next phase of remote learning right in higher education".

(١٨) استطلاع الكاتب، مايو ٢٠٢٠.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) المصدر السابق.

التدريبية في فرنسا وألمانيا، وأماكن في برامج الطلّاب في الخارج، وفُرَص التدريب والبحث العلمي في المملكة العربية السعودية. وبالنسبة للبعض، فقد تضاعفت خيبةُ الأمل؛ إذ مُنعوا في العام نفسه من إكمال التدريب، وخسروا الاستفادة من برامج الطلاب في الخارج.

المعيار التربوي الجديد؟

بالنسبة لأولئك السعوديين الشباب الذين لديهم بالفعل تجربة مع التعلم عن بعد قبلَ هذا الوباء، لم يُمَثِّل التحول من التعليم الشخصي المباشر إلى التعلم عن بعد مشكلةً كبيرة، فقد كان لديهم بالفعل نوعٌ من «التعلُّم الذاتي» إلى حدٍّ ما. ومع ذلك، بالنسبة للآخرين الذين يفتقرون إلى هذه الخبرة، فقد أصبحوا مُتَلَقِّين سلبيين للتعليم عن بعد، الذي فُرض عليهم بغض النظر عن تفضيلهم الشخصي. ومع ذلك، فمن المحتمل أن تكون التجربة قد غيرت بشكل كبير فكرتهم عن التعليم[٢١].

ويبقى السؤال المحوري لكلٍّ من صانعي السياسات التعليمية والطلاب: إلى أي مدى ستظل تدابير التعلُّم عن بعد في وقت الأزمة، التي طُبِّقت للتخفيف من تأثير الوباء على العمليات التعليمية، ساريةً. يبدو من المحتمل جدّاً أن يستمر التركيز على التعلُّم عن بُعد بدلاً من التعلم الشخصي المباشر لمعظم العام الدراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١، إن لم يكن للعام كله. ورغم ذلك، فإن الاستمرار في نُهُج وأساليب التعلم عن بعد في وقت الأزمات لن يُلَبِّي متطلبات المقرر الدراسي أو توقعات الطلاب بشكل كافٍ. وقد شدد تشارلز ب. هودجز، أستاذ تكنولوجيا التعليم في جامعة جورجيا الجنوبية، وزملاؤُه على أن التعليمَ عبر الإنترنت قد دُرِسَ لعقود، وتُوَثِّقُ عدةُ دراسات بحثية كيف أن التعلُّم الفعال عبرَ الإنترنت يَنتج عن التصميم والتخطيط التعليمي الدقيق، باستخدام نموذج منهجي للتصميم والتخطيط؛ إذ تؤثر عملية التصميم والتفكير الدقيق في قرارات التصميم المختلفة على جودة التعليم، وقد تكون عمليةُ التصميم الدقيقة هذه غائبةً في معظم الحالات في التعلم عن بعد في الأزمات. ويؤكد هودجز وآخرون على أن التخطيط والإعداد والتطوير لدورة جامعية كاملة عبر الإنترنت يستغرق من ستة إلى تسعة أشهر قبل بدء الدورة. علاوةً على ذلك، سيستغرق الأمر أيضاً وقتاً حتى يصبح المعلمون أكثرَ ارتياحاً للتدريس عبر الإنترنت، ويجب أن نُدرك أنه حتى مع توفُّر أفضل النوايا، من المستحيل على كلِّ معلم أن يُصبح «خبيراً فوريّاً» في التعليم والتعلُّم عبر الإنترنت، بغض النظر عن الوضع الحالي[٢٢].

ومن الآن فصاعداً، يقع العبءُ على صانعي السياسات التعليمية والمؤسسات والمعلمين؛ لضمان جودة التعلُّم عن بعد، الذي يمكن أن يحل محل التعلم الشخصي بشكل فعّال، لا أن يصبح مجردَ بديل غير مناسب في حالة الطوارئ. ومع ذلك، يجب على صانعي القرار أيضاً استشارةُ ممثلي الطلاب والمجموعات الطلابية؛ لتحديد مجالات النجاح والفشل، بالإضافة إلى الاتفاق على الأهداف والأولويات، من حيث الوصول إلى التكنولوجيا والتعلم والمشاركة الفعالة. وفي الحقيقة، فإن المشاركين في الاستطلاع يعتقدون أنه يمكن تعلُّم دروس قيمة من تلك المؤسسات التي تمتلك بالفعل خبرةً كبيرة في التعلم عن بعد؛ مثل الجامعة السعودية الإلكترونية، أو الشركات؛ مثل المنصات عبر الإنترنت المذكورة سابقاً في هذا التعليق.

---

(٢١) المصدر السابق.

(22) C. Hodge et al, "The Difference Between Emergency Remote Teaching and Online Learning".